الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

- ١٤٣٧\ ١٤٣٦ هـ-



ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانة السلفي-

http://meerath.nabawee.net

https://www.facebook.com/meerath.nabawee/?ref=

الدرس السادس عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ , ونَسْتَعِينُهُ , وَنَسْتَغْفِرُهُ , وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا , وَمِنْ سَيئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ , وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه , وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ , وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ , وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ , وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا , وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ , وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ , وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ :

فقد توقفنا عند الحديث السابع عشر من الأربعين النووية ، وهو ما رواه أَبو يَعْلَى شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ –رَضِيَ اللهُ تَعَالَى– عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ –ﷺ– أنه قَالَ : (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ) [1]

هذا الحديث من الأحاديث الدَّالة على كمال الشريعة الإسلامية وأنَّها من عند الله –عزَّ وجل– ، فالله –عزَّ وجل– (كَتَبَ الإِحْسَانَ إلى كُلِّ شَيءٍ)

– ومعنى كتب : أي شرعه وأمر به ، وهذا الأمر قد يكون للوجوب : كالإحسان إلى الوالدين ، وإلى الضيف على القدر المأمور به ، وقد يكون هذا لأمر للاستحباب : كصدقة التطوع ونحو ذلك .

[1]) رواه مسلم

فإذًا الله –عزَّ وجل – (كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ)

– والإحســـان : يعني الإتيان بالأمر كما شرعه الله وكما أمر به ، أمر إيجاب أو أمر استحباب ، وترك المنهي عنه سواء كان طلب تركه طلبًا جازمًا أو طلبًا غير جازم ؛ فالإحسان كما يقول ابن رجب –رحمه الله تعالى– : (إحسان كل شيء إحسانه) ، كل شيء بحسبه ، يعني كما مرّ معنا من الامور الواجبة أو المستحبة في فعلها ، من الامور المُحرَّمة أو المكروهة في تركها.

وقد مثّل النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– بالإحسان في مسألةٍ من المسائل التي جاء الاسلام بالإحسان فيها ، وذلك في قوله– صلَّى الله عليه وسلَّم– : (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ) ،

(القِتْلَةَ) : أي هيئة القتل ، فإذا كان الانسان عليه قصاص فإن الواجب على السَّيَّاف الذي يقيم الحد عليه بأمر السلطان أو نوابه من القضاة أو نحوهم ، فالواجب أن يتخذ سيفًا حاد ، ويعدُّه ليكون سريع القطع ، وأن يضربه في المكان المخصص ، بحيث أنه يضربه مرة واحدة فيقيم عليه الحد .

وكذا الدواب ، إن كانت بعض مثلًا الدواب يؤذي فلك أن تقتله بما يجزي قروحه بطريقة سهلة ، لا أن تحرقه بالنار ، ولا تحبسه فيموت ، ولا أن ترمي عليه صخرة ؛ فإن هذا ليس من الإحسان في شيء .

فإذًا هذا قتل الإنسان أو قتل الدواب ، ثم ذكر أيضًا الإحسان في الذبح ، وذلك يحصل بأمور ، من أهمِّها :

أن تكون الشفرة أي السكينة و نحوها ممَّا يقطع أن تكون حادَّة ، بحيث تقطع الأوداج والبلعوم والمريء سريعًا ، فلو كانت السكين أو الآلة غير حادَّة فإنه يعذِّب الحيوان بكثرة تمرير هذه الآلة على رقبته ؛ فلذلك النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– قال : (وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ) أي السكين ونحوها .

(وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَهُ) ، يعني يجعلها ترتاح بحيث يحضرها في المكان المخصص للذبح ، لا يجرُّها بقسوة أو يضربها حين يأتي بها الى المكان المخصص ، ولا يذبحها أمام الحيوانات الأخرى ، فإنَّ هذه الحيوانات وإن لم تكن تعقل إلا أنها مخلوقة ، تشعر وتضطرب و تتأثر بما ترى ، فلا شك أنها إن رأت أخواتها ينذبحون أمامها أنها تموت عدة موتات قبل أن تموت .

لذلك من الخطأ الكبير أن يذبح الشاة أمام الشاة ، ومن الخطأ الكبير أن تكون السكين أو الآلة غير حادة ، وأيضًا من الخطأ أيضًا أن يكون الذابح غير متعلِّم ، فيظل يجرحها ويقطعها ويشق رقبتها في عدة مواطن ، فهذا كله من التعذيب ، هي ستموت بالذبح ، ولكن من الإحسان الذي أمر الله – عزَّ وجل – به الإحسان إلى البهائم هذه ، هذا فيه كمال هذه الشريعة –بفضل الله تعالى– .

و قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ) ، فيه فوائد عظيمة ، أن المسلم يحرص كل الحرص على أن يأتي بالأوامر الشرعية كما أمر الله – عزَّ وجل – ،

وأن يحرص على أن يحسن الأمور وأن لا يُسيء ، وأن يحرص على عدم الأذية لإخوانه المسلمين ، فإذا كان الحيوان لا يؤذى وإنَّما يذبح بطريقة مريحة وسهلة .

– فكيف بالإنسان ؟

وهذا الحديث فيه ردٌّ على الدواعش الخوارج ، وهذا الحديث أيضًا فيه ردٌ على الذين يشتغلون على إخوانهم السلفيين بالطعن والجرح والكذب والافتراء على إخوانهم السلفيين ، فكيف لو كانوا طلاب علمٍ وعلماء سلفيين ، يُكذب عليهم ويُفترى عليهم ويُساء إلى سمعتهم ، فلا شك

أن هؤلاء ما امتثلوا هذا الحديث ، ولا امتثلوا الحديث الماضي معنا (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ) [2] .

فالمسلم مُبتلى ، مُبتلى بأمثال هؤلاء ، وأشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، ولا شك أنَّ من سار على نهج النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– و الصحابة الكرام لابدَّ وأن يتعرض للأذى وأن يتعرض لمن يحاول عرقلة دعوته ؛ لذلك علينا –بارك الله فيكم– أن لا نغترَّ بأمثال هؤلاء ، فإنهم لم يحسنوا ، فإنهم لم يحسنوا .

كيف يكون إحسان بإيصال الإيذاء للمسلم ، فكيف بطالب علمٍ ، فكيف بعالمٍ قد أفاد إخوانه وطلابه واشتهرت دعوته ، هذا الكلام أنا أقوله كلامًا عامًا – بارك الله فيكم – ، لا أُنزِّله على أشخاص مُعيّنين ؛ لأن ليس المقصود ذاك أو ذا ، وإنَّما المقصود بيان سوء الفعل وقبح الصنيع بإيصال الإيذاء للمسلم .

إذًا هذا الحديث أيضًا يدخل في أبوابٍ كثيرة ، وهنا قد يعترض معترض ، ولكن قبل أن أذكر هذا الاعتراض ، ممَّا يؤكد هذا الحديث قوله – عليه الصلاة والسلام – ، أو نهيه –عليه الصلاة و السلام – كما رواه سمرة بن جندب ، أن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كان ينهى عن المُثلى .

– و المُثلى : تعذيب المقتول ، بأن يقطع بعض أعضائه وأن يشوهه أو نحو ذلك ، لكن هنا الإشكال الذي أريد أن أورده قد يقول قائل : أولئك الذين قتلوا راعي النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– وسملوا عينه ، ففعل بهم النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ذلك ، وجعلهم في الحر والرمضاء إلى أن ماتوا .

---

[2]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6018]، وَمُسْلِمٌ [رقم:47].

– فهـل هذا يدخـل في المُثـلى ؟

– أو هـل هذا يدخـل في عـدم الإحسـان فـي القـتل ؟

– الجواب :

لا ، وهنا الجواب لابد أن أُبيِّن قاعدة عظيمة حتى تفهموها في كل أحكام الدين .

– مـاهـي هذه القـاعـدة ؟؟

إنَّ كل ما أمر الله –عزَّ وجل – به أو نهى عنه من الإحسان ، ما أمر به من الإحسان والعدل والإنصاف والمحبة والأخوَّة يفهم على ضوء النصوص الشرعية لا على ضوء عقولنا التي تعطي المعنى عامًا ، وكذا ما نهى عنه الشرع يفهم على ضوء النصوص الشرعية لا على ضوء عقولنا التي قد تتجاوز الحد في الأمر المنهي عنه ، فيقع الإنسان في الغلو إمَّا في فعل الواجب وإمَّا في الأمر المحرَّم ، هذه القاعدة لابد أن تفهم ، نطبقها هنا ، فنقول :

من قتل إنسان ؛ بأن مثلًا قطع أطرافه وعذَّبه ؛ فالحكم الشرعي في مثله أن يقتل بذلك إن حكم الحاكم بذلك ، فيكون من باب القصاص ، وأمَّا الحديث هذا الذي معنا في الإحسان ، وحديث النهي عن المثلى ، عن إنسان قتل فيُقتل ، ولكن أن يتجاوز القتل إلى أفعالٍ أخرى يُعذِّب بها المقتول ؛ فحينها يستحق أن يُعاقب بمثل ذلك .

مثال آخر : ما جاء في الأحاديث والآيات القرآنية من الأمر بالمحبة والألفة ؛ فبعض الناس يريد أن يُدخل حتى أهل البدع ، حتى أهل الأهواء ، فيأمر بالألفة معهم ، وبالمحبة لهم ، وهؤلاء إخواننا المسلمين ، فنقول له : يا أخي قف حدَّك ، وانظر إلى الآيات وإلى الأحاديث وإلى فهم الصحابة – رضوان الله عليهم – في هذا الباب ؛ فقد كانوا ينفِّرون من أهل البدع ، ويحذِّرون

منهم ، وينهون عن مجالستهم ، وعن مؤالفتهم ، بل قال الفضيل بن عياض : (آكل مع يهودي أو نصراني ، ولا آكل مع مبتدع) .

- لمـــــاذا ؟

- قال أهل العلم :

- لأن اليهودي والنصراني أنا أحذره وأعلم أنه على باطل فلا يستطيع أن يُضلَّني ، ولكن هذا المبتدع هو مُظهرٌ للإسلام ، ومُظهرٌ أنه متمسكٌ بالحق ، وهو على بدعة ، فأنا أغترُّ به ، وقد أقع في حبائله ؛ فلذلك – بارك الله فيكم – يجب أن نفهم هذه القضية فهمًا جيدًا ، وبهذا الفهم تستطيعون أن تكشفوا كثير من الحيل والخدع التي يُخادع بها بعض الناس في كلامه ، وأنه يريد الحق ، وأنه يريد الأحاديث والآيات التي في كذا وكذا ، وهي لا تدل على مراده ، فينبغي أن نفهمها على ضوء الآيات والأحاديث وما كان عليه السلف الصالح – رضوان الله عليهم –

- الحديث الذي يليه ؛ الحديث الثامن عشر :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، ومُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– ، أنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)[3]

هذا الحديث فيه ثلاثة وصايا وأوامر للنَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– لنا جميعًا :

بأن نتقي الله – عزَّ وجل – ، وأن نعمل الحسنة بعد السيئة ، وأن نتعامل مع الناس بخلقٍ حسن

- **أمَّا الأمر الأول** : فهو تقوى الله –عزَّ وجل– (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت) ؛ وهنا الأمر بأمرين

- **الأمر الأول** : الأمر بالتقوى (اتَّقِ اللَّهَ) .

---

[3] رواه الترمذي وقال حديث حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح .

– **والأمر الثاني :** أن تكون تقواك لله في كل مكان ، في السرَّ والعلن ، في موطنك وخارج موطنك ، أمام أصحابك ، وأمام الذين لا يعرفونك ، بين أهلك وبين الناس ، محل ما تكون تتقي الله – عزَّ وجل – .

– لمــــــاذا ؟

– لأن الله يراك حيثما كنت ، ومُطلِّعٌ عليك أينما كنت ، والملكان يسجلان عليك كل ما تعمل ، وكل ما تتلفظ به ، كما سبق معنا ؛ فالله – عزَّ وجل – الذي تعبده في مكة هو –سبحانه وتعالى – الذي تعبده وأنت في أي دولةٍ أخرى ، والله الذي تتظاهر بالتقوى والورع أمام الناس في العلانية هو الله – سبحانه – الذي يراك في الخلوة وفي السر .

– فكـيـف لا تتقي الله – عزَّ وجل – ؟!

ولذلك النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أوصانا جميعًا أن نتقي الله – عزَّ وجل – حيثما كنَّا ، ولذلك جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنه ذكر أن أناس من أمته يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال الجبال ، يجعلها الله هباءً ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ ، قال : (أقوامٌ إذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) ؛ فألحظ أخي المسلم وانتبه إلى قوله : (إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) ، يعني : كانوا يتظاهرون بخلاف ما يبطنون ، كانوا في السرِّ ذئاب ، وفي العلن يُظهرون التقوى ؛ لذلك على المسلم أن يراعي هذه القضية ، وأن يحرص على الإخلاص ، وعلى الاستقامة على الحق ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[4] ؛ يعني : فالزم الطريق الواضح البيّن في كل أحوالك .

[4]) سورة هود – الآية 112

(اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت) :

- **والتـــقـــوى :** أن تجعل بينك وبين عذاب الله وسخطه وقاية ، بأن تفعل الطاعات والواجبات ، وتترك المُحرَّمات والمنهيات ، وأن تستعد ليوم الرحيل .

كما جاء عن بعض السلف وهو طلق بن حبيب حينما ذكر التقوى : (أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله) .

- مـــــاذا نلـــحـــظ في قـــول طلـق ؟

نعيد مرة أخرى : (التقوى : أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عقاب الله) .

نلحظ أنك إذا عملت الطاعة تعملها بعلمٍ وبهدى ممَّا جاء به النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، وإذا تركت المعصية تتركها بعلمٍ وعلى ما نهى عنه النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ؛ لأن بعض الناس يجعل نفسه أو يظن نفسه تقيًّا وهو جاهل ، وهو لا يعرف الأحكام ، فيقع في البدع والضلالات والانحرافات وهذا خطأ .

ولذلك قال سفيان : (من ضل من عُبَّادنا أشبه النصارى)

- لـــــمـــاذا ؟

- لأن النصارى عبدوا الله على جهالة ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[5] ، يعني :

ابتدعوا أمور ومع ذلك لم يأتوا بها على الوجه المطلوب ، فبعض العباد حقيقة أمرهم أنهم جهَّال ، وأمَّا قوله – صلَّى الله علية وسلَّم – : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) ؛ فإن

[5]) سورة الحديد – الآية 27

العابد فيما كان سابقًا في عهد السلف المراد به : من تعلم من العلم ما يقيم به عبادته ، وليس المراد بالعابد ذاك الذي يصلي ، ويحضر للصلاة ، ويتظاهر بإطالة اللحية ونحو ذلك وهو يجهل دين الله – عزَّ وجل – ، لا هذا جاهل ليس بعابد .

إنما العابد كان يتعلم ما يُحتَاج إليه من دين الله في عبادته لله – عزَّ وجل – ، ما عنده علم زيادة في أمور أخرى ولكن لمَّا يعبد الله يعبده على بصيرة في العبادة التي يتفرغ فيها لله – عزَّ وجل – ، في صلاةٍ أو صيامٍ أ ونحو ذلك وأذكار نبوية لا أذكار مبتدعة أذكار لم يأتِ بها النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –وأوراد يلتزمها لم يأتِ بها النَّبي – ﷺ –.

مرَّ معنا حديث عائشة : (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) [6] ، حديث عائشة – ﵂ وأرضاها – أم المؤمنين ، قالت : قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) [7] ؛ فلابد – بارك الله فيكم – أن نلحظ هذا الأمر .

ولذلك رأس التقوى أن تعلم ما يُتَّقى فتتقي ، فأصل التقوى ورأسها أن تكون مبنيةً على العلم ، والتقوى هي وصية الله – عزَّ وجل – للأولين والآخرين ، للأولين والآخرين أوصاهم الله – عزَّ وجل – بالتقوى .

وتقوى الله – عزَّ وجل – أيضًا – بارك الله فيكم – تعني أن المرء يحاسب نفسه على أقواله ، وعلى أفعاله ، وعلى كل شيءٍ ، فيخاف أن يصدر منه السوء ، ويخاف أن يقصِّر في الأمر الواجب .

وتقوى الله – عزَّ وجل – أن يكون العبد ورعًا تقيًا ، يترك الشبهات ويستبرئ لدينه وعرضه ، و تقوى الله – عزَّ وجل – أيضًا أن يحفظ العبد لسانه من الغيبة والنميمة ومن البهتان والكذب

---

6) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:2697]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1718].

7) وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ

على عباد الله وأن يحفظ فرجه ممَّا حرمه الله ، وتقوى الله – عزَّ وجل – الإحسان إلى الوالدين ، والإحسان إلى إخوانه المسلمين ، وتقوى الله وهذا الأمر الذي ينبغي أن يذكر في البداية تكون بتوحيد الله – عزَّ وجل – ، ونبذ الشرك وأهله فهذه كلها من تقوى الله .

ثمَّ قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا) ، يعني إذا عملت سيئةً فلا تتركها وقتًا طويلًا ، بل احرص على أن تعمل بعد السيئة حسنة ، إمَّا بقراءة قرآن ، وإمَّا بصدقةٍ ، وإما باستغفارٍ ، وإمَّا بذكرٍ .

وقد جاء عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – أنه قال : (ما من عبدٍ يُذنِبُ ذنبًا ثم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله إلا غفر الله له) ، وأيضًا جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (أن العبد إذا أذنب فإن الملك صاحب الشمال – عليه السلام – يرفع القلم بضع ساعات) ، ست ساعات يرفع القلم فإن أحدث توبة في أثناء هذه الست الساعات لم يكتب الذنب ، وإن لم يتب في هذه المدة كتبها سيئة ؛ ولذلك هذا ممَّا يؤكد دلالة ذلك الحديث ، أن العبد يحرص على أن يعمل الحسنة بعد السيئة .

وأيضًا جاء في الحديث ما يُبيّن أهمية إتباع السيئة بالحسنة وذلك أن السيئات لو اجتمعت على القلب قد تجعله فاسدًا ، كما قال – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ الذَّنب نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نكْتَةٌ سَوْدَاءُ ، فإن تاب وأقلع صُقِلَتْ وَمُحِيَتْ) ، يعني النكتة السوداء هذه ، (وإِنْ أَذْنَبَ الذَّنْبَ يُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاء ، وَلَا يَزَالُ يُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ – أي كُلَّ مَا أَذْنَبَ ؛ يعني لم يتب – ، وَلَا يَزَالُ يُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يُصْبِحَ أَسْوَد كَالْكُوزِ مُجْخِيًا ، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا) .

قال الله – عز وجل – : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [8] ، أي : غطَّى على قلوبهم ما كانوا يعملون ، ولذلك هذه وصية عظيمة كثيرٌ منَّا يشتكي من قسوة القلب ، كثير منَّا يشتكي من الثقل عن الطاعات ، وعدم الرغبة لسماع القرآن ونحو ذلك ، فنقول لهؤلاء إن أذنبتم فتوبوا إلى الله – عزَّ وجل – ، وإن أذنبتم فاعملوا الحسنة ، وإياكم وتراكم السّيئات ، فإنها تغطي القلب ، وتصرفه عن الطاعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا) ، لاحظ أن الإتباع يكون الشيء وراء الشيء ، يعني ليس بينهما فاصلٌ كبير ، وأيضًا يُشعِر هذا بأن المرء يسارع لفعل الحسنات ، وهذا أمرٌ عظيم – بارك الله فيكم – .

وهذا أمرٌ عظيم – بارك الله فيكم – ينبغي لنا أن نعود أنفسنا على فعله ؛ لأنَّ كما جاء في الحديث عن النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ) ، كما قال العلماء ، قال النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) .

وقال العلماء : (ليس الخطأ أن تقع في المعصية ، وإنَّما الخطأ أن تستمر عليها ،وأن تصرَّ عليها)

ولذلك لو تأملنا هذا الباب في القرآن وفي السنة لوجدنا العجب العجاب ،﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [9] مهما كثرت ذنوبك ، ومهما كثرت المعاصي ، فتب وارجع إلى الله – عزَّ وجل – واستغفره ، ولا تقنط من روح الله ، ومن رحمة الله ، بل احرص على التوبة والرجوع إلى الله – عزَّ وجل – .

في آيات وأحاديث كثيرة جدا في هذا الباب يطول المقام بذكرها .

ثم قال – صلَّى الله عليه وسلَّم– : (وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ، وهذا كما مرَّ معنا في قول النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، في الحديث الذي قال فيه –عليه الصلاة والسلام– وهو

[8]) سورة المطففين – الآية 14
[9]) سورة الزمر

الحديث الذي مرَّ معنا ، وهو قوله –عليه الصلاة والسلام– : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[10] ، حديث أنس : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) ، هذا داخلٌ فيه ؛ فإن الخلق الحسن أنت تحب لنفسك أن يعاملها الناس بخلق حسن ، فعامل أنت الناس بالخلق الحسن .

– والخلق الحسن : هو امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، وأن تعمل بما تعارف عليه الناس ممَّا لم يأتي في الشرع ما يُبيِّنه ، ما ينهى عنه ، أو ما يوضحه ، فقد يتعارف النَّاس على بعض الأمور ممَّا يتعاملون به عُرفًا ، فلابد من مراعاة هذا الأمر.

(وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ؛ يعني : عاشرهم وخالطهم وكن معهم ولا تتكبر عليهم ، ولا ترى نفسك فوقهم ، لا مالًا ولا نسبًا ، ولا أي أمرٍ من أمور الدنيا ، بل المسلم مع أخيه المسلم كما قال الله – عزَّ وجل – في سورة الفتح حين قال –سبحانه وتعالى– : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ﴾[11]

وأيضًا قول النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – : (الْمُسْلِمُ لِلْمُسْلِمِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) ، قال –صلَّى الله عليه وسلَّم – : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وتحابهم كَمَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

وقد جاء ما يدلُّ على عظم أجر الأخلاق الطيبة ، فإن النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– يقول : (ما من شيء أثقل في الميزان يوم القيامة من حسن الخلق) ، ويقول – عليه الصلاة والسلام– : (إن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) .

والله –عزَّ وجل– حين أثنى على النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كان من ثنائه عليه قوله :

---

[10]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:13]، وَمُسْلِمٌ [رقم:45].
[11]) سورة الفتح – الآية 29

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [12] ، فدلَّ هذا على أن الأخلاق لها مكانه عظيمة في الإسلام ، ومنزلة مهمة .

وأمَّا حديث (الدين المعاملة) فهو حديثٌ لا إسناد له ، موضوعٌ مكذوبٌ على النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، مكذوبٌ على النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

والأخلاق كما سبق ، ليس المُراد بها الأخلاق المصطنعة ، والأخلاق التي يُقضى بها مصالح لبعض الناس ، أو الأخلاق التي يُراد بها الدفاع عن أهل الباطل ، أو الأخلاق التي يُراد بها الطعن على أهل السنة ،كما يفعل بعض الناس ، يأتي بأخلاق هو يراها أنها من الأخلاق ، ثم يعيب على أهل السنة أنهم لم يتخلقوا بها ، لا عيب على أهل السنة في عدم تخلقهم بأخلاق لم تشرع ، أو لا عيب على الإنسان إذا ترك أمرًا مستحبًا ليس بواجبٍ ، إنّما يُعاب من وقع في البدع وخالف الحق ، وإنّما يُعاب من فعل المحرَّم وترك الواجب ، وإنّما يُعاب من أراد بإيراد الأخلاق الطعن في إخوانهم السلفيين ، حتى إنك لتجد الواحد منهم يتعامل مع المخالفين بكل رحمة وأدب واحترام ، فإذا جاء مع إخوانه السلفيين انقلب ، وكشَّر عن أنيابه ، وسلقهم بلسان حاد .

– أيــن الأخـــلاق ؟

الأخلاق مع المخالفين ، والأخلاق مع المنحرفين ، يُنصح بها ويُنادى بها ، **ووقت التطبيق مع أهلها لا تُطبَّق ؟!!**

لا شك أن اعتبار الأخلاق بهذه الصورة مخالف لمنهج السلف ، ولذلك كما قال ابن رجب – رحمه الله تعالى – قال : (قال بعض أهل العلم : حسن الخلق ،كظم الغيظ لله) .

---

[12]) سورة النجم – الآية 4

بعض الناس إذا غضب عليك وهو ينادي بالأخلاق ، إذا غضب عليك آذاك في كل مكان ، في كل مناسبة ، ويفضل يعني يلاحقك .

– فأين الأخلاق التي تنادي بها ؟

(كظم الغيظ لله ، وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر) ، بعض الناس يظهر تكشير أنيابه لإخوانه السلفيين فهذا خطأ ، وأنا كما سبق لا أعني شخصًا بعينه وإنَّما أذُّم فعلًا ، وخلقًا ذميمًا ، فلا يحمل كلامي –بارك الله فيكم– على شخص بعينه ، لأنه ليس المُراد ذلك الشخص ، إنما المراد تلك الفعلة الشنيعة .

ثم قال : (والعفو عن الزَّالين إلا تأديبًا أو إقامة حد و كف الأذى عن كل مسلم أو معاهد ، إلا تغيير منكر ، أو أخذا بمظلمة لمظلوم من غير تعدٍ) ، فهذا القول يجمع لنا حسن الخلق فعلينا أن نتدبره وأن نتأمله .

(وَخَالِقْ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ، وتأملوا قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (بِخُلُقٍ حَسَنٍ) ، وصفه بالحسن .

– والحسن : هو ما كان من شرعه –عليه الصلاة والسلام– ، ومن سنته –ﷺ– .

قال الإمام أحمد : (حسن الخلق ألا تغضب و لا تحتد) ، وقال أيضًا : (حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس) ، تصبر على آذاهم ؛ ولذلك جاء عن النبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : (أن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم خير ممن لا يخالطهم) ، وقال إسحاق بن راهوية في حسن الخلق ، قال : (هو بسط الوجه وأن لا تغضب) .

إذًا هذه وصية مهمَّة ونافعة أوصى بها النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– أمَّته ، وفي هذا القدر كفاية

وصلَّى الله وسلَّم على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.